العنوان الأحد الأحد الجديد

الخوري بسام بو رعد جعجع

ظهور يسوع للتلاميذ وتوما معهم

(يو٢٠/٢٦-٣١)

٢٦. وبَعْدَ ثَمانِيَةِ أَيَّام، كانَ تَلامِيذُ يَسُوعَ ثانِيَةً في البَيْت، وتُومَا مَعَهُم. جاءَ يَسُوع، والأَبْوَابُ مُغْلَقَة، فَوَقَفَ في الوَسَطِ وقال: "أَلسَّلامُ لَكُم!".

٢٧. ثُمَّ قالَ لِتُومَا: "هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلى هُنَا، وانْظُرْ يَدَيَّ. وهَاتِ يَدَكَ، وضَعْهَا في جَنْبِي. ولا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ كُنْ مُؤْمِنًا!".

٢٨. أَجَابَ تُومَا وقالَ لَهُ: "رَبِّي وإِلـهِي!".

٢٩. قالَ لَهُ يَسُوع: "لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي آمَنْت؟ طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرَوا وآمَنُوا!".

٣٠. وصَنَعَ يَسُوعُ أَمَامَ تَلامِيذِهِ آيَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً لَمْ تُدَوَّنْ في هـذَا الكِتَاب.

٣١. وإِنَّمَا دُوِّنَتْ هـذِهِ لِكَي تُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الـمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، ولِكَي تَكُونَ لَكُم، إِذَا آمَنْتُم، الـحَيَاةُ بِاسْمِهِ.

مقدّمة عامّة لجميع أناجيل الآحاد في زمن القيامة

تدعونا الكنيسةُ المارونيَّةُ في زمنِ القيامةِ، إلى التَّأمّلِ أيامَ الآحادِ في رواياتِ ظهوراتِ المسيحِ لتلاميذِهِ بعدَ القيامةِ. على مدى ستّةِ آحادٍ نقرأُ ستّةَ نصوصٍ من الإناجيلِ (أربعةً من إنجيلِ يوحنا واثنين من إنجيلِ لوقا). إن رواياتِ الظُّهوراتِ تلي رواياتِ القبرِ الفارغِ. وفيما رواياتُ القبرِ الفارغِ تؤكّدُ خبرَ القيامةِ بطريقةٍ حسّيَّةٍ. تهدُفُ رواياتُ الظُّهوراتِ إلى إظهارِ مفاعيلِ هذه القيامةِ من خلالِ إرسالِ الرُّسُلِ ودعوتِهم إلى حَمْلِ بشارةِ الخبرِ السّارِّ، قيامةِ الرّبِّ يسوعَ. فالظُّهوراتُ ليسَتْ غايةً بحدِّ ذاتِها، بل هي امتدادٌ، وصلةُ وصلٍ بين رسالةِ المسيحِ وإرسالِ الرّسلِ.

شرح الآيات

٢٦. بَعْدَ ثَمانِيَةِ أَيَّام، كانَ تَلامِيذُ يَسُوعَ ثانِيَةً في البَيْت، وتُومَا مَعَهُم. جاءَ يَسُوع، والأَبْوَابُ مُغْلَقَة، فَوَقَفَ في الوَسَطِ وقال: «أَلسَّلامُ لَكُم!».

هذا هو الظُّهورُ الثّالثُ ليسوعَ على تلاميذِه بعدَ اللّقاءِ بمريمَ المجدليةِ عندَ القبرِ الفارغِ، وظهورُه قبلَ ثمانيةِ أيّامٍ للرُّسلِ بدونِ توما. للّقاءِ طابَعٌ افخارستيٌّ، فالرُّسلُ قد درجوا على

الاجتماعِ كلَّ يومِ أحدٍ لتذكُّرِ الرَّبِّ كما دعاهم. لذلك يلتقي يسوعُ بتوما ضمنَ الجماعةِ بعد ثمانيةِ ايامٍ. ويذكُرُ سِفْرُ أعمالِ الرُّسلِ هذه العادةَ (أعمال الرسل ٢٠:٧).
إنَّ توما الّذي دعا التّلاميذَ لمشاركةِ يسوعَ في الموتِ ("فَقَالَ تُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ لِلتَّلاَمِيذِ رُفَقَائِهِ: «لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضًا لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ")(يو ١١/١٦)، يرفضُ أن يشاركَ في خبرِ قيامتِه مع التّلاميذِ الآخرين ويشترِطُ أن يضعَ إصبعَه في جروحاتِ المساميرِ. إنَّ الظُّهورَ هذا الأحد يهدِفُ إلى إزالةِ الشَّكِّ من قلبِ توما.

٢٧. ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: «هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا، وانْظُرْ يَدَيَّ. وهَاتِ يَدَكَ، وضَعْهَا فِي جَنْبِي. ولا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ كُنْ مُؤْمِنًا!»
ما إنْ يَلقي المسيحُ سلامَه حتّى يتوجَّهُ بالكلامِ لتوما مباشرةً. هو يعرفُ ما يعتري قلبَ توما من الشَّكِّ، لأنَّه "كانَ يعرِفُ ما في الإنسانِ" (يوحنا ٢٥/٢). إذ يُعيْدُ المسيحُ على توما أقوالَه وطلبَ الأدلَّةَ، يظهرُ له خطأَه بالشَّكِّ. إنَّ توما أمامَ خيارين، على عتبةِ طريقين. دعوةِ المسيحِ له أن لا "يصيرَ" غيرَ مؤمنٍ، بل أنْ يختارَ طريقَ الإيمانِ. بحسَبِ بعضِ الشُّرّاحِ، يمثّلُ توما "البقيَّةَ من اليهودِ" le residu juif، الّذين عليهم أيضًا أن يختاروا بين طريقين بعدَ قيامةِ يسوعَ، الإيمانَ أو الرَّفْضَ.
إنَّ الجروحاتِ الظّاهرةَ على يدَي ورجلَي المسيحِ هي لتأكيدِ أنَّ المصلوبَ هو نفسُه الّذي قامَ. إن بقاءَ آثارِ الألمِ البشريِّ على جسدِهِ القائمِ من بينِ الأمواتِ، تضعُ الألمَ البشريَّ في قلبِ اللّهِ، فهو يَشْعُرُ بآلامِنا ويعطُفُ على البشريّةِ المتألِّمةِ من العُنْفِ والظّلمِ اللّذين تقاسيهما على وجهِ الأرضِ.

٢٨. أَجَابَ تُومَا وقَالَ لَهُ: «رَبِّي وإِلهِي!».
بصرخةِ "ربِّي وإلهي"، يعطي توما يسوعَ لقبَه الأعظمَ في كلِّ الإنجيلِ. يحتوي الإنجيلُ على العديدِ من الألقابِ التي أُطلِقَتْ على يسوعَ، وقد رفَضَ بعضًا منها. يبدأُ إنجيلُ يوحنا بالكلمةِ "الّذي هو اللّهُ" وينتهي بالاعترافِ بأنَّ يسوعَ هو اللّهُ والرَّبُّ. مُنْذُ تجسُّدِ الإبنِ / الكلمةِ، لم يرَ مَنْ عاصروه مِنْه سوى هذا الجسدِ الّذي اتَّخذه. بعدَ الموتِ والقيامةِ تشرُقُ ألوهيَّةُ المسيحِ ليراها ويؤمنَ الجميعُ. يخترِقُ نورُ القيامةِ قلبَ توما فيصدَحَ بصرخةٍ تحتوي على كاملِ حقيقةِ الإنجيلِ. تنْهارُ مقاومةُ توما للخبَرِ السَّارِ، فيصبحَ، بعدَ أنْ كانَ آخِرَ مَنْ آمَنَ بالقيامةِ، أوّلَ مَنْ يُعْلِنُ ألوهيَّةَ المسيحِ بينَ الرّسُلِ.

٢٩. قَالَ لَهُ يَسُوع: «لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي آمَنْت؟ طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرَوا وآمَنُوا!».
إنّ تطويبَ المسيحِ لِمَنْ آمنوا ولم يروا يسْبِقُ ما سيكتِبُه بطرسُ الرَّسولُ في رسالَتِه إلى

الجماعةِ المسيحيَّةِ:
"الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ. ذلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ، نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النُّفُوسِ. (١ بطرس ١ / ٨ - ٩)
إنَّ إيمانَ الجماعةِ الأولى هو إيمانُ مَنْ لم يرَوا، بل آمَنوا بناءً على شهادةِ الرُّسُلِ. باطلًا يبني الإنسانُ إيمانَه على الحواسِّ الخمسِ. فإنَّ بولسَ الرَّسولَ يعلِنُ في ٢ قورنتس ١٨/٤ :" ونحنُ غيرُ ناظرين إلى الاشياءِ الَّتي ترى بل إلى الَّتي لا ترى. لأنَّ الّتي ترى وقتيّةٌ وأمَّا الّتي لا ترى فأبديَّةٌ".
ولذلك ينالُ من "آمَنَ ولم يرَ" الطّوبى (السعادة)، لأنّه ينالُ السّعادةَ في الأمورِ الّتي لا تُرى، وهي النِّعمةُ والمحبةُ والسَّلامُ.

٣٠. وصَنَعَ يَسُوعُ أَمَامَ تَلامِيذِهِ آيَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً لَمْ تُدَوَّنْ فِي هذَا الكِتَابِ.
٣١. وإِنَّمَا دُوِّنَتْ هذِهِ لِكَي تُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ اللهِ، ولِكَي تَكُونَ لَكُم، إِذَا آمَنْتُم، الحَيَاةُ بِاسْمِهِ.
إن هاتين الآيتان ٣٠ و ٣١ تختِمان الإنجيلَ بصياغتِه الأولى قبل أنْ تتمَّ إضافةُ الفصل ٢١ الملحق، على يدِ تلاميذِ يوحنا. في هذهِ الخاتمةِ يؤكّدُ كاتِبُ الإنجيلِ أنَّه قامَ باختيارٍ لبعضِ آياتِ المسيحِ عندَ صياغةِ الإنجيلِ، وهذا ما يبرِّرُ عَدَمَ ذكرِه لروايةِ ولادةِ وطفولةِ يسوعَ أو غيرِها مِنَ الأحداثِ الّتي تذكرُها الأناجيلُ الإزائيَّةُ.
كما يؤكّدُ أنَّ رسالةَ هذا الإنجيلِ هو دعوةُ المسيحيِّين للإيمانِ بيسوعَ الّذي لم يرَوه، لكي ينالوا باسْمِه الحياةَ. فيُصْبِحَ الإنجيلُ، كتابًا حيًّا، كتابًا يفضي إلى الإيمانِ، مثلَ ظهوراتِ المسيحِ القائمِ مِنْ بينِ الأمواتِ.
إنَّ الكلمةَ الأهمَّ في هذه الآيةِ هي ""بإسمِه"". فالحياةُ الأبديَّةُ المبتغاةُ مرتبطةٌ بعلاقةٍ شخصيَّةٍ بإسمِ يسوعَ المسيحِ، ولذلك يُدعى المؤمنون "مسيحيين". فبإسمِ المسيحِ يقومُ الرُّسُلِ بالشِّفاءاتِ (أعمال ٦/٣: فَقَالَ بُطْرُسُ: «لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ، وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ")، باسمِهِ يطردون الشَّياطين(أعمال الرسل ١٨/١٦ : فَضَجِرَ بولسُ والتَفَتَ إلى الرُّوحِ وقالَ: "انا أمرُك باسْمِ يسوعَ المسيحِ أنْ تخرُجَ منها"، وبإسْمِه يرثون الحياةَ الأبديةَ (رومة ١٣/١٠: "كلُّ مَنْ يدعو باسْمِ الرَّبِّ يخلُصُ").

خلاصة روحيّة

في ظلِّ الظُّروفِ الصَّعبةِ الّتي نعيشُها اليومَ، تصْعُبُ علينا رؤيةَ اللهِ وهو يعْمَلُ في وسَطِ الجماعةِ. وقد تراودُنا الشُّكوكُ ونبغي الآياتِ كما طلبَ توما. إنَّ المسيحَ الّذي غلَبَ الموتَ واختبَرَ الألمَ البشريَّ ليسَ ببعيدٍ عنّا. فهو لا يزالُ يحمِلُ في جسدِه لا آثارَ المسامير فقط، بل آثارَ الحقدِ والظُّلمِ اللَّذين قاساهُما على يدِ ظالميه وهم كُثُرٌ.

تعطي قيامةُ المسيحِ وظهوراتُه معنًى لهذا الألمِ والظُّلمِ. إنَّه "الضَّيفُ الإلهيُّ" الّذي يدخُلُ العليَّةَ المُقْفَلَةَ أبوابَها خوفًا، ليحلَّ الإيمانَ وينشرُ السَّلامَ. هو يفسِّرُ بنفسِه حدَثَ القيامةِ ويدعو إلى الإيمانِ بِهِ.

إنَّ حدَثَ القيامةِ الّذي أضحى نصًّا في إنجيلِ يوحنّا، يُضحي حدثًا خلاصيًّا لكلِّ قارئيه المؤمنين بهِ.

إنَّنا مدعوون إلى شقِّ صّمْتِ الشَّكِّ الّذي نعيْشُه بصرخةِ إيمانٍ "ربّي وإلهي" كما صرَخَ توما، فنستحقَّ الطُّوبى الَّتي وعَدَنا بها المسيحُ، نحنُ الّذين "آمنّا ولم نرَ".